الامام احمد عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقرأ كل ليلة بني اسرائيل والزمر والحكمة
في افتتاح هذه السورة بالتسبيح كما قالته في زاد المسير
وجهان احدهما ان العرب تسبح عند الامر العجيب فكان الله
عجب خلقه مما اسدى الى رسوله صلى الله عليه وسلم من النعم في
اسرائه به الثاني ان يكون تخرج مخرج الرد عليهم لانه صلى الله
عليه وسلم لما حدثهم عن الاسرى به كذبوه فيكون المعنى تنزه الله
تعالى ان يتخذ رسولا كذابا فان قلت ما الحكمة في افتتاح سورة
الاسرى بالتسبيح والكهف بالتحميد اجيب بان التسبيح حيث جاء
قدم على التحميد بمعنى فسبح بحمد ربك وسبحان الله والحمد لله لان
التسبيح هو التنزيه والحمد هو الثناء فالاول من باب التخلية
والثاني من باب التحلية والتخلية مقدمة على التحلية واجب
ايضا بان سورة سبحان لما اشتملت على الاسرى وكذب المشركون
به النبي صلى الله عليه وسلم وتكذيبه تكذيب لله تعالى اتى بسبحان
لتنزيه الله عز وجل عما لا يليق به وينسب اليه من الكذب
وسورة الكهف لما نزلت بعد سؤال المشركين عن قصة اصحاب
الكهف وتاخر الوحي نزلت مبينة ان الله تعالى لم يقطع
نعمته عن نبيه ولا عن المؤمنين بل اتم عليهم النعمة بانزال
الكتاب فناسب افتتاحها بالحمد على هذه النعمة واما
سبحان فهو اسم بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه فهو اسم
واقع موقع المصدر ولا يكاد يستعمل الا مضافا وقد
يستعمل علما فينقطع عن الاضافة ويمتنع عن الصرف

وانتصابه بفعل مضمر اي اسبح الله سبحان ثم نزل سبحان
منزلة الفعل فسد مسده وهو دال على التنزيه البليغ
لان في حذف العامل واقامته مقامه الدلالة على
ان المقصود بالذات هو المصدر والفعل تابع فيفيد
الاخبار بسرعة وجود التنزيه واذا قلنا بانه علم
للتسبيح فالعلم على نوعين علم يختص وعلم جنسي ثم انه
تارة يكون للمعنى وتارة يكون للمعنى فهذا من العلم
الجنسي الذي للمعنى فان قلت فقط سبحان واجب الاضافة
فكيف الجمع بين العلمية والاضافة اجيب بانه ينكر
ثم يضاف كما قال الشاعر على زيد بن يوم النقا رأس
زيدكم ببعض ما مضى لشهرين باني والتسبيح مما
استاثر الله تعالى به كما قال بعضهم فبدا بالمصدر اي
بالاسم الموضوع موضعه في بني اسرائيل لان المصدر
هو الاصل ثم بالماضي في الحديد والمعارج والصف لانه
اسبق الزمانين ثم بالمضارع في الجمعة والتغابن ثم بالامر
في الاعلى استيعابا لهذه الكلمة من جميع جهاتها فهو
ذكر يعظم الله به مختص به لا يصلح لغيره ولا يستعمل
الا فيه واما قول الشاعر سبحان من علقمة الفاخر
فعلى سبيل الشذوذ اي العجب من علقمة اذ يفخر والعرب
تقول سبحان من كذا اذا تعجبت منه قال الراغب وقول
الشاعر سبحان من علقمة الفاخر تقديره سبحان علقمة
على التهكم فزاد فيه من رد الى اصله وقيل اراد سبحان الله

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)